﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ [النجم: 13 - 18]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بعد رؤيةِ النَّبيِّ لجبريل في الأرض تأكيدُ رؤيته في العالم العلويِّ

بعدما ذكر البيانُ الإلهيُّ رؤيةَ الفؤاد، وهي أصدقُ وأثبتُ؛ لأنَّها تنفي خداعَ النَّظر، ووبَّخَ الكافرين على مجادلتهم وتشكيكهم في رؤيةِ النَّبيِّ ﷺ للوحي في الأرض؛ قطعَ أطماعهم عن المجادلةِ بتأكيد تكرُّرِ رؤيته ﷺ لجبريل في العالَمِ العُلويِّ عند سدرةِ المنتهى، وهو فوق السَّماء السّابعة، بما ينفي احتمالَ أن يكون هناك جنٌّ ولا إنس، فقال: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَزۡلَةً﴾: أصلُ (نزل) تَدُلُّ على هُبوطِ شَيءٍ ووُقوعِه، يُقالُ: نَزَلَ عَن دابَّتِه نُزولًا، ونَزَلَ المَطَرُ مِنَ السَّماءِ نُزولًا، ووَجَدْتُّ القَومَ على نَزَلاتِهم، أي: مَنازِلِهم[2]، و﴿نَزۡلَةً﴾ فعلة من النُّزول؛ فهوَ مَصْدَرٌ دالٌّ على المَرَّةِ، ومعنى ﴿نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ مرَّةً أخرى، أي: ليكملَ له الأمر مرَّة في عالم الكون، وأخرى في المحلِّ الأنزه الأعلى[3].

2) ﴿سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾: السِّدْرُ اسمٌ لِلجِنسِ، واحِدَتُها سِدْرَة، وهو شجرٌ قليلُ الغناءِ عند الأكلِ، وقد يخضدُ، ويُستَظلُّ به[4]، والمنتهى: من (نهي)، وأصله يَدُلُّ على غايَةٍ وبُلوغٍ، ومِنهُ أنهَيتُ إلَيهِ الخَبَرَ:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 243، والبقاعي، نظم الدّرر: 19/ 52، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 100.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نزل).

(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 52، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.

(4) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سدر).

بَلَّغْتُهُ إيّاهُ، والنِّهايَة: غايَةُ كُلِّ شَيءٍ وآخِرُهُ، والمنتهى: مُفْتَعَلٌ مِنَ النِّهايَة: الغايَة[1]، ومعنى ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ مكانٌ علويٌّ فوق السَّماء السّابعة، شُبِّهَ بالسِّدرة الَّتي هي واحدةُ شجرِ السِّدر[2]، وهو في أقصى الجنَّة، وينتهي إليه علمُ الخلائق من الأوَّلين والآخرين ولا يتعدّاها، وينتهي إليه ما يعرجُ من تحت وما ينزلُ من فوق، فيلتقي هنالك[3].

3) ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: الجَنَّةُ: كلُّ بستانٍ ذي شجر يسترُ بأشجاره الأرضَ، وسُمِّيَت الجنَّة إمّا تشبيهًا بالجنَّة في الأرض - وإن كان بينهما بونٌ - وإمّا لستره نعمها عنّا[4]، والمأوى: مصدرٌ أضيفَ إلى الجنَّة، كإضافة الدّارِ للخلد في قوله: ﴿دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فصلت: 28]، فالمأوى اسمٌ للمكان الَّذي يُؤوى إليه[5]، والمأوى: المكانُ والمنزلُ، والإيواءُ هو الضَّمُّ، و﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ هي جنَّةُ المَبيتِ، أو الَّتي تَصيرُ إليها أرواح الشُّهَداءِ والمؤمنين[6]، وهي الجَنَّةُ المَعروفَةُ بأنَّها مَأوَى المُتَّقينَ، فإنَّ الجَنَّةَ مُنتَهَى مَراتِبِ ارتِقاءِ الأرواحِ الزَّكيَّة[7].

4) ﴿يَغْشَى﴾: أصلُ (غشي) يَدُلُّ على تَغْطيَةِ شَيءٍ بشَيءٍ كثيفٍ يَعُمُّه كغشاءِ السَّرج والجَفن، ومن ذلك: تَغَشَّى ثيابه، واستغشاها: تَغَطَّى بها كي لا يَرى، ولا يَسْمع، والغِشاوَةُ: ما غَشيَ القَلبَ من رَينِ الطَّبْع[8]، وغَشيَهُ غِشاوَةً: أتاهُ إتيانَ ما قد غَشيَهُ، أي: ستره[9]، ومعنى ﴿يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ﴾: يغطّيها[10].

5) ﴿زَاغَ﴾: أصلُه يَدُلُّ على مَيلِ الشَّيءِ، وزاغَتِ الشَّمسُ: مالَت، وفاءَ الفَيْءُ[11]، وزاغَ: مالَ عنِ القَصْدِ، وزاغَ عنِ الطَّريقِ: عَدَلَ[12]، والزَّيغُ: الميلُ عن الاستقامةِ، والزّائغُ: المائلُ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (نَهَيَ).
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.
(3) ابن الأثير، النهاية: 2/ 353، والبقاعي، نظم الدرر: 19/ 53.
(4) الراغب، المفردات: (جن).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أوي).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (أوى).
(7) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 101.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غشى)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (غشو).
(9) الراغب، المفردات: (غشي).
(10) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 53.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زيغ).
(12) الزبيدي، تاج العروس: (زوغ).

وزاغ البصر: كَلَّ[1]، ومعنى ﴿زَاغَ﴾ في الآية: ما مالَ أدنى ميلٍ، أي: ما مالَ بَصَرُهُ إلَى مَرْئيٍّ آخَرَ غَيْرِ ما ذُكِر[2].

6) ﴿طَغَىٰ﴾: أصلُ الطُّغيان: مجاوزةُ الحدِّ في كلِّ شيء، وغلبَ في تزايدِ العصيان[3]، والطُّغيانُ: كلُّ ما جاوز القدْرَ، وارتَفَعَ، وغَلا في الكفرِ[4]، ومعنى ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: ما جاوزَ القصدَ في رؤيته[5]، أي: ما جاوزَ ما أُمِرَ برؤيته، وما لم يؤذَنْ له فيه، ولا تجاوزَ المرئيُّ إلى غيره[6].

7) ﴿ءَايَـٰتِ﴾: الآياتُ جمعُ آيةٍ، وجذرُها - وهو الهمزةُ والياءُ والحرفُ المعتَلُّ - يدلُّ على بقاءِ الشَّيءِ في مكانِهِ شاخِصًا عَلامَةً لِشَيءٍ[7]، والآيةُ: كلُّ شيءٍ ظاهرٍ مُلازِمٌ لشيءٍ باطنٍ يُعرَفُ به حسّيًّا كان أم عقليًّا[8]، ومعنى الآياتِ هنا: دَلائِلُ عَظَمَةِ اللّه تَعالَى الَّتي تُزيدُ الرَّسولَ ارتِفاعًا[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لقد رأى محمَّدٌ ﷺ جبريلَ مرَّةً أُخرى على صورتِه الحَقيقيَّةِ، الَّتي خلَقَه اللّهُ عليها عندَ مكانٍ علويٍّ فوق السَّماء السّابعة يُسمَّى سِدْرةَ المنتهَى، إليها يَنْتهي علمُ الخلائقِ وأعمالهم، ولا يعلم أحدٌ ما وراءَها، عِندَ هذه السِّدرة جنَّةُ المأوى، وقد رأى محمَّدٌ جبريلَ حينَ غَشيَ سِدْرةَ المُنتَهى ما غَشيَها مِن أمْرِ اللّهِ تعالى، فما مالَ

في حضرةِ الجلالِ كانتْ رؤيةُ المصطفى لجبريل والآياتِ العظمى

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (زيغ)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 154.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 53، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 102.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طغى)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (طغو).
(4) ابن سيده، المُحكم: (طغي).
(5) الهروي، الغريبين في القرآن والحديث: 4/ 1172.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 53، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (طغو).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أيى).
(8) الرّاغب، المفردات: (أيّ)، ورشيد رضا، تفسير المنار: 1/ 238.
(9) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 102.

بَصَرُ مُحمَّدٍ ﷺ يَمينًا ولا شِمالًا، ولا تجاوَزَ الحدَّ الَّذي رآه، ولقد رأى محمَّدٌ ﷺ لَيلةَ الإسراءِ والمعراجِ الآياتِ الكُبرى مِن آياتِ رَبِّه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾:

بين التَّرقّي في بَيانِ مَراتبِ الوحْيِ والحال الَّتي تنفي أيَّ شكٍّ فيما رآه

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ إمّا عاطفةٌ، والعطفُ عطْفُ قِصَّةٍ على قِصَّةٍ، ابتُدِئَ بالأضْعَفِ في مراتب الوحي، وعُقِّبَ بالأقْوى، أي: ترقّى في بَيانِ مَراتبِ الوحْيِ، والمعنى: إنْ كُنتُم تَجحَدون رُؤيتَه جبريلَ في الأرضِ، فلقد رآهُ رُؤيةً أعظَمَ منها؛ إذ رآهُ في العالَمِ العُلويِّ مُصاحِبًا[2]، وإما أن تكون حاليَّة، والمعنى: كيف تجادلونه فيما رآه، على وجهٍ لا يُشَكُّ فيه؟[3].

بلاغةُ التَّوكيد باللام و(قد):

إزالةُ الإنكار والغرابة بيانٌ لعظيم المنزلة

تأكيدُ الكلامِ بلامِ القسَمِ وحرْفِ التَّحقيقِ مِن أجْلِ إنكارِ المشركين رؤيةَ النَّبيِّ ﷺ لجبريل[4]، ولِما في هذا الخبَرِ مِن الغَرابةِ، مِن حيثُ هو قدْ رأى جبريلَ، ومِن حيثُ إنَّه عُرِجَ به إلى السَّماءِ، ومِن الأهمّيَّةِ مِن حيثُ هو دالٌّ على عَظيمِ مَنزلةِ النَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ[5].

دلالةُ فعل الرُّؤية الماضي، وعود الضَّمير فيه:

في تحقُّقِ وقوعِ الرُّؤيةِ ردٌّ على المنكرين

التَّعبيرُ بصيغة الماضي في الرُّؤية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الحدثَ وقع فعلًا؛ لأنَّه ممّا يُستغرب، أو يُنكر، وقد شكَّكَ به المشركون، ولهذا سُبِقَ الفعلُ باللّام وقد.

---

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 21/ 29 - 30، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 156، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 243.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 52.

(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.

وضَميرُ الرَّفْعِ في ﴿رَءَاهُ﴾ عائدٌ على ﴿صَاحِبُكُمْ﴾، وهو النَّبيُّ ﷺ وضَميرُ النَّصبِ عائدٌ على جِبريلَ[1]، أو على اللّه سبحانه[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالمصدر الدّالِّ على المرَّة ﴿نَزْلَةً﴾:

تـأكـيـدُ نـزولِ جـبريـل ورؤيـةِ النَّبيِّ ﷺ له

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿نَزْلَةً﴾ دون لفظ (مرَّة)، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؛ لتأكيدِ حقيقةِ الأمر، وهو النُّزول، وأنَّه ليس أمرًا مجازيًّا، فـ﴿نَزْلَةً﴾ فعْلَةً من النُّزولِ، وهو مَصْدَرٌ دالٌّ على المَرَّةِ، أي: في مكانٍ آخرَ من النُّزول الَّذي هو الحلولُ في المكان[3]، ولأنَّ هذه الرُّؤيةَ العجيبة لمّا كانت لا تتأتّى إلّا بتنزُّلٍ من جبريل يقطعُ مسافاتِ البعد الَّتي هي الحجب؛ ليصير به بحيث يراه البشر[4]، أي: إنَّ الرُّؤيةَ في هذه المرَّةِ أيضًا كانت بنُزولٍ ودُنوٍّ[5]، ولأنَّ العرجةَ الَّتي في الآخرة لا نزلةَ لها، فقال: ﴿نَزْلَةً﴾؛ ليعلمَ أنَّها من الَّذي كان في الدُّنيا[6].

وانتصبَ ﴿نَزْلَةً﴾ على نزْعِ الخافضِ، أو على النّيابةِ عن ظرْفِ المكانِ، أو على حذْفِ مُضافٍ بتَقديرِ: وقْتَ نَزلةٍ أُخرى، فتَكونُ نائبًا عن ظرْفِ الزَّمان[7].

نكتةُ وصف ﴿نَزْلَةً﴾ بـ﴿أُخْرَىٰ﴾:

رؤيـةُ الـنَّـبـيِّ لـجـبريـل مـرَّةً في عالم الكون الأدنى وأخـرى في المحلِّ الأنـزهِ الأعلى

وصَفَ البيانُ الحكيمُ النَّزلةَ بالأخرى، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾؛ للدَّلالة إلى أنَّها ليستِ الأولى الَّتي يرى فيها النَّبيُّ ﷺ جبريلَ في صورته الحقيقيَّة، بل سبقتها نزلةٌ سابقة، فهي نزلةٌ أخرى بالنِّسبة؛ لِما في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾، فإنَّ التَّدلّي نزولٌ بالمكان الَّذي

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 243.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 52.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 254.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 243.
(7) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.

بلغَ إليه[1]، وهذا يؤكِّد تكرارَ رؤيةِ النَّبيِّ ﷺ لجبريل؛ ليكملَ له الأمرُ مرَّةً في عالمِ الكون الأدنى وأخرى في المحلِّ الأنزهِ الأعلى[2].

سرُّ إيثار لفظ ﴿عِندَ﴾:

مراعاةُ القربِ مع تنزيهِ المقامِ في التَّعبير القرآنيّ

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿عِندَ﴾ في قوله: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ دون غيره من الألفاظ، كلفظ (فوق، أمام، تحت)؛ لكون لفظ ﴿عِندَ﴾ تفيدُ القرب مع عدمِ تحديدِ المسافة بدقَّة، وهذا يناسبُ مقامَ الغيبِ الإلهيِّ والملائكيِّ، والتَّنزيهَ عن تحديدِ المكان حسّيًّا، ولأنَّ ﴿عِندَ﴾ تُستَعملُ للظَّرفيَّة المكانيَّة والزَّمانيَّة، وهذا أبلغُ في التَّعبير، وتقديرِ ظرف المكان؛ رأى جبريلَ أو غيرَه بقربِ سدرةِ المنتهى، وخُصَّتِ الرُّؤيةُ بالذِّكر عند هذا المكان؛ لعظيمِ شرفِ المكان بما حصلَ عنده من آياتِ ربِّه الكبرى، ولأنَّها منتهى العروج في مراتبِ الكرامة[3]، وتقديرُ ظرفِ الزَّمان: رآه عند الحيرة القصوى، أي: في الزَّمانِ الَّذي تحارُ فيه عقولُ العقلاء، والرُّؤيةُ من أتمِّ العلوم، وذلك الوقت من أشدِّ أوقاتِ الجهل والحيرة، وما حارَ ﷺ وقتًا من شأنه أن يحارَ العاقلُ فيه[4].

وجهُ التَّعبير بلفظ ﴿سِدۡرَةِ﴾:

السِّـدرةُ مثالُ القُربِ والجلالِ والجمال

التَّعبيرُ بلفظ السِّدرة إشارةٌ إلى شرفِ ذلك المكان الَّذي انتهى إليه رسولُ اللَّه ﷺ وطيبهِ ونعيمهِ وعظمَتِه، فالسِّدرةُ واحدة شجرِ السِّدر، ويختصُّ بثلاثة أوصاف: ظلٌّ مديد، وطعمٌ لذيذ، ورائحةٌ زكيَّة، فجُعِلَتِ السِّدرةُ مثلًا لذلك المكان، إمّا في صفةِ تفرُّعه، وإمّا في كونه حدًّا؛ انتهى إليه قربُ النَّبيِّ ﷺ إلى موضعٍ لم يبلغه قبله مَلَكٌ[5].

(1) التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 52.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 244.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 101.

دلالةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾:

سـدرةُ المنتهى بين المقامِ والمالكِ والمآل

إضافةُ ﴿سِدْرَةِ﴾ إلى ﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ إضافةٌ بَيانيَّةٌ، أو لتَعريفِ السِّدرةِ بمَكانٍ يُنْتهَى إليه، لا يَتجاوَزُه أحدٌ؛ لأنَّ ما وراءَهُ لا تُطيقُه المخلوقاتُ، وهو مكانٌ علويٌّ فوقَ السَّماءِ السّابعة، وردَ التَّصريحُ به في حديث المعراج[1]، أو هي إضافةُ المِلْكِ إلى المالِكِ على حذْفِ الجارِّ والمَجرورِ، أي: سِدرةُ المُنْتَهى إليهِ هو اللّهُ ﷻ، قالَ تعالَى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: 42][2]، وهي بذلك كإضافةِ البيتِ إليه، وهي إضافةُ تشريفٍ وتعظيم[3]، أو إضافةِ المحلِّ إلى الحالِّ، كقولك: كتابُ الفقهِ، والتَّقديرُ: سدرةٌ عندَها مُنتهى علومِ الخلائقِ[4].

دلالةُ تعريف ﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾:

جاءتْ كلمةُ ﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ مُعرَّفةً بـ(الـ)، لا نكرةً؛ للدَّلالة على أنَّ المقصودَ منتهًى مخصوصٌ ومعهود - لا أيُّ منتهًى - فهو المنتهى الأعظم، الَّذي ينتهي إليه علمُ الخلائق ومراتبهم، ولا يُجاوَز، كأنَّ الآية تقولُ: عند السِّدرةِ الَّتي هي منتهى كلِّ أحدٍ سواه سبحانه، فـ(الـ) هنا تفيدُ الكمالَ والغايةَ القصوى.

منتهى مخصوصٌ ومعهودٌ بلغَ حدَّ الكمالِ وغايةَ المقام

سرُّ تكرار ظرف المكان ﴿عِندَهَا﴾ وعودُ الضَّمير فيه:

في التَّكرارِ تأكيدُ معنى القربِ والتَّشريف

تكرَّر ظرفُ المكان ﴿عِندَ﴾ في قوله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾؛ لاختلافِ المتعلَّق به، فالظَّرفُ ﴿عِندَ﴾ في قوله: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿رَءَاهُ﴾، أو حال من الفاعل أو المفعول أو منهما معًا، أمّا الظَّرف ﴿عِندَهَا﴾؛ فمتعلِّقٌ بمحذوفٍ خبرٌ مقدَّم، و﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ مبتدأ مؤخَّر[5]، والضَّميرُ في لفظ ﴿عِندَهَا﴾

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 101.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 156.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 244.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 156.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 350.

عائدٌ على سدرةِ المنتهى[1]، وفي تكرار هذا الظَّرف في الجملتين تأكيدُ معنى القربِ والتَّشريف.

بلاغة تقديم الخبر ﴿عِندَهَا﴾:

فـي الاهتـمامِ بموضعِ السِّدرة تعظيمٌ لها

قدَّم النَّظمُ الحكيم الخبرَ في قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾؛ للاهتمام بمكانِ السِّدرة وتعظيمه، بأنّ جعلَ التَّركيزَ في بداية الجملة على الموضع، الَّذي تجلَّت فيه الآياتُ العظمى، ولإفادةِ الاختصاص، أي: لم يقعْ ما وقعَ من التَّجلّيات والمشاهدات العظمى في أيِّ موضع، بل في ذلك المكانِ العظيم والمخصوص لا غيره حصلَ ما حصل، فهي موضعُ الاصطفاء والمشاهدة.

سرُّ تعريف ﴿جَنَّةُ﴾ بالإضافة:

بيان نوع الجنَّة كـشـفٌ لمـراتـبِ القُربِ والخلود

﴿جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾: الجنَّةُ المعروفة بأنَّها مأوى المتَّقين، فإنَّ الجنَّةَ منتهى مراتبِ ارتقاءِ الأرواح الزَّكيَّة[2]، وحينئذٍ فالإضافة، كما في قوله تعالى: ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ [فاطر: 35]، أو هي جنَّةٌ أخرى عندها يكون أرواحُ الشُّهداء، أو جنَّة للملائكة[3]، وهي في المعاني السّابقة إضافةٌ بيانيَّةٌ؛ إذ يبيِّن المضافُ إليه نوعَ الجنَّة بأنَّها مأوًى للمتَّقين، أو أنَّها موضعٌ للملائكة، أو أرواح الشُّهداء، وهي بذلك كلِّه تكشفُ مراتبَ القُرْب والخلود.

دلالةُ تعريف ﴿ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾:

المـأوى الـكـاملُ الَّذي لا مأوًى في الحقيقة غيره

﴿ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ المكانُ الَّذي يُؤوى إليه، أي: يُرجَع إليه، والتَّعريف باللّام فيه للعهد، أي: مأوى المؤمنين، قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 53.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 101، و21/ 231.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 244.

﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [السجدة: 19][1]، فهو المأوى الكاملُ الَّذي لا مأوى في الحقيقة غيره؛ لأنَّه لا يوازى في عِظَمِهِ[2].

بيانُ المتشابه اللَّفظيِّ في قوله تعالى: ﴿جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾:

المفردُ للعظمة والجمعُ لتفاوتِ المنازل

يختلفُ قوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾، في هذه السّورة عن قوله تعالى في سورة السَّجدة: ﴿فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [السجدة: 19]، فقد جاء في الآية الأولى مفردًا ﴿جَنَّةُ﴾، وفي الثّانية جمعًا ﴿جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾؛ وذلك لمراعاة السّياق في السّورتين، فالسّياقُ في سورة النَّجم للحديث عن مكانٍ عظيم في المعراج، وهو سِدرةُ المنتهى، وما يتجلّى عندها من آياتٍ، فعبَّر بالمفرد؛ للدَّلالة على العظمة والفخامة، وكأنَّها جنَّةٌ واحدة جامعةٌ لكلِّ معاني الجمال، وأمّا سياق سورة السجدة؛ فهو للحديث عن الجزاءِ الأخرويِّ بعد ذكر صفاتِ المؤمنين وأعمالهم، فعبَّر بالجمع؛ لأنَّ المقامَ مقامُ توزيعِ جزاءٍ بحسب درجات النّاس، فتعدُّدُ الجنّاتِ يراعي تفاوت المؤمنين في المنازل.

دلالة الظَّرف ﴿إِذۡ﴾:

ما حُفَّ بسدرةِ المُنتهى مِن الجَمالِ يناسب صنع ذي الجَلالِ

﴿إِذۡ﴾ في قوله تعالَى: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ ظرْفٌ، العامل فيه ما قبله أو ما بعده، فإن كان ما قبله؛ ففيه احتمالان: أظهرهما فعل ﴿رَءَاهُ﴾، والتَّقدير: رآه وقتَ ما يغشى السِّدرةَ الَّذي يغشى، والاحتمالُ الآخر: الفعلُ الَّذي في النَّزلة، تقديره: رآه نزلةً أخرى، تلك النَّزلةِ وقتَ ما يغشى السِّدرةَ ما يغشى، أي: إنَّ نزوله لم يكن إلّا بعدما ظهرتِ العجائب عند السِّدرةِ وغشيها ما غشى، وإن كان العامل في الظَّرف ﴿إِذۡ﴾ ما بعده، فهو إمّا ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾، أي:

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 21/ 231.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 53.

ما زاغ بصره وقتَ غشيان السِّدرةِ ما غشيها[1]، أو أنَّ الظَّرف ﴿إِذْ﴾ في مَوضعِ الحالِ مِن ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، أُريدَ به التَّنويهُ بما حُفَّ بهذا المكانِ المُسمَّى سِدرةَ المُنْتهى مِن الجَلالِ والجَمالِ[2].

وجهُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَغْشَى﴾:

صيغةُ المُضارعِ في قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى﴾ و﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ لحِكايةِ الحالِ الماضيةِ؛ استِحضارًا لصورتِها البَديعةِ، وللإيذانِ باستِمرارِ الغَشَيانِ بطَريقِ التَّجدُّدِ، بما يدلُّ على عَظَمةِ اللهِ وجَلالِهِ[3].

استحضارُ الصّورة وتجدُّدُ الغشيان بما يدلُّ على عَظَمةِ المَنّان

نكتةُ تكرار لفظ ﴿ٱلسِّدْرَةَ﴾ معرَّفًا بـ(ال) دون الإضافة:

(الـ) في لفظ ﴿ٱلسِّدْرَةَ﴾ للعهد الذِّكريِّ؛ إذ سَبقتْ في قوله: ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، وقد كرَّرَ البيانُ القرآنيُّ ذِكرها منعًا للَّبس؛ إذ لو عُبِّر بالضَّمير، فقال: (عند سدرة المنتهى عندها جنَّة المأوى؛ إذ يغشاها)؛ لعادَ إلى أقربِ مذكورٍ، وهو جنَّةُ المأوى، ولأنَّ في إعادةِ التَّصريح بذكره مزيدَ اهتمامٍ بها، وتعظيمًا لشأنها.

سموُّ المكان حقيق بالاهتمام وتعظيم الشَّأن

سرُّ إيثار الموصول ﴿مَا﴾ وتأخيره عن المفعول، وحذف المتعلَّق:

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ باسم الموصول ﴿مَا﴾، في قولِه: ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾، الَّتي تفيدُ إبهامَ الغاشي؛ لإفادة الإبهامِ المفيد للتَّفخيمِ الإجماليِّ، وتَعظيمُ وتَكثيرُ لِما يَغْشاها، أي: ولقد رآهُ عندَ السِّدرةِ وقتَ ما غشيَها ممّا لا يكتنهه الوصفُ، ولا يَفي به البيانُ كيفًا ولا كمًّا، وتأخيره عن المفعول للتَّشويق إليه[4]، فضلًا عن حذف متعلِّق ﴿يَغْشَى﴾، وأنَّه تَضيقُ عنه عِباراتُ الوصْفِ في اللُّغةِ، فقد عُلِمَ بهذه العِبارةِ أنَّ ما يَغشاها مِن الخلائقِ الدّالَّةِ على عَظَمةِ اللهِ

تغشى السِّدرة أمورٌ عظيمة لا يُحيطُ بها تعبيرٌ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 245.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 100.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 157.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 157.

وجَلالِهِ أشياءُ لا يَكتَنِهُها النَّعتُ، ولا يُحيطُ بها الوصفُ[1]، أي: إنَّها مع التَّفخيمِ تفيدُ العموم، ولذا اختلفتْ عباراتُ المفسِّرين في بيانِ ما يغشاها، فقال ابن مسعود: فراشٌ من ذهب، وقال ابن عبّاس: الملائكةُ، وقال الضَّحّاك: نورُ ربِّ العزَّة سبحانه[2]، وغير ذلك[3]، وهذا بسببِ ذكرِ كلِّ واحد منهم فردًا من أفرادِ العموم على سبيل التَّمثيلِ لا الحصر.

سرُّ تكرار المضارع ﴿يَغْشَى﴾:

تجدُّدُ الغشيان وهيبتهُ لحظةٌ عظمى في مشهدِ الإسراء والمعراج

تكرارُ الفعل المضارع ﴿يَغْشَى﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ يحملُ في طيّاته بلاغةً عميقةً، تُسْهِمُ في تعظيمِ الموقفِ وتهويلِ المشهد؛ إذ يوحي بالاستمرارِ والتَّجدُّد، كأنَّ الغشيان متَّصلٌ، أو أنَّه عائدٌ في كلِّ حين، ويُعطي التَّكرارَ الآيةَ أيضًا إيقاعًا قويًّا وجاذبًا، ممّا يعمِّقُ وقعها في السَّمعِ والنَّفس، وهذا من مظاهر التَّناسبِ الصَّوتي في القرآن الكريم.

بلاغةُ جملةِ الاستئناف ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾:

الاعتراضُ يؤكِّدُ رؤيةَ النَّبيِّ ﷺ لجبريل

جُملةُ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ مُعترضةٌ، وهي في معْنى جُملةِ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ إلى آخرِها، أي: رأى جبريلَ رُؤيةً لا خطأ فيها، ولا زيادةَ على ما وُصِفَ، أي: لا مُبالَغةَ[4].

نكتة النَّفي بـ﴿مَا﴾:

نفيُ جنسِ الزَّيغِ عن بصره الشَّريف كمالٌ للرُّؤيةِ النَّبويّة

آثرَ البيانُ القرآنيُّ النَّفي بـ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ لقوَّةِ النَّفي بها؛ إذ إنَّها آكدُ في النَّفي من غيرها، فهي تنفي جنسَ الزَّيغ عن بصرِ رسولِ الله ﷺ في أيِّ وقتٍ من الأوقات، وفي هذا مبالغةٌ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 421، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 157، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 101.

(2) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 396.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 157.

(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 101.

في تأكيدِ أنَّه ما مالَ بصرُهُ ﷺ عمّا رآهُ، وما عدلَ عن رؤيةِ العجائبِ الَّتي أمرَ برؤيتها، بل أثبتَهُ إثباتًا صحيحًا متيقَّنًا[1]، ممّا يؤكِّد كمالَ الرُّؤيةِ النَّبويَّة.

دلالةُ إيثار الفعل ﴿زَاغَ﴾ ماضيًا:

ثـبـاتُ بـصـرِ النَّبيِّ ﷺ عند مشاهدةِ الآيات الكبرى

آثرَ القرآنُ استعمالَ الفعل ﴿زَاغَ﴾ دون جاوزَ أو مالَ أو عدلَ؛ لكونه الأنسبَ مع السّياق الَّذي يقرِّرُ حقيقةَ الوحي، وحالَ النَّبيِّ ﷺ في حبِّه وتعلُّقه بما يرى من آياتِ ربِّه الكبرى، وحقيقةً غيبيَّة ستكون اختبارًا لإيمان النّاس؛ لأنَّ الزَّيغ لا يكون إلّا ميلًا عَن الحقِّ، يُقال: فلانٌ من أهل الزَّيغ، ويُقال أيضًا زاغَ عَن الحقِّ، في حين أنَّ الميلَ عامٌّ في المحبوب والمَكْروه[2]، وفي التَّعبير بلفظ الزَّيغ ومجيء الفعل بصيغة الماضي؛ للدَّلالة على أنَّ رؤيته لآياتِ اللّه الكبرى كانت حقًّا يقينًا، ولم يكن غواشَ عينٍ، ولا تجاوزَ رؤية، وإنَّما هي المشاهدة الواضحة المحقَّقة، الَّتي لا تحتملُ شكًّا ولا ظنًّا، وقد عاينَ فيها من آياتِ ربِّه الكبرى، واتَّصلَ قلبهُ بالحقيقة عاريةً مباشرة مكشوفة، أي: أن يكون ذلك بيانًا لوصول محمَّد ﷺ إلى سدرةِ اليقين الَّذي لا يقينَ فوقه، فبصرُ النَّبيِّ ما زاغ، أي: ما مالَ أدنى ميلٍ عن الطَّريق، فلم يرَ الشَّيءَ على خلافِ ما هو عليه[3].

سرُّ إيثار لفظ ﴿ٱلْبَصَرُ﴾ معرَّفًا:

الامتداحُ لبصره الـشَّـريـف ﷺ بنفي الزَّيغ عنه خاصَّةً

جاء لفظُ البصر في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ معرَّفًا بـ(الـ) دون الإضافة أو دون التَّنكير؛ ليحتملَ معنيين للّام، وهما: أنَّها عهديَّةٌ، والمقصود هو بصرُ النَّبيِّ المعروف محمَّد ﷺ أي: ما زاغَ بصرُ محمَّد، وفي هذا امتداحٌ لبصره الشَّريف ﷺ أو أنَّها لتعريفِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 157.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 213.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 246.

الجنس، أي: ما زاغَ بصرٌ أصلًا في ذلك الموضع لعظمةِ الهيبة، وفي هذا من التَّعظيمِ لذلك الموضع المهيب، والدَّلالةِ على العموم الَّذي يُغني عن مجيئه نكرة[1].

نكتة إيثار ﴿ٱلۡبَصَرُ﴾:

نفيُ الزَّيغِ عن البصرِ في هذا الموقف الجليل أعجبُ وأبلغُ

آثرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ البصر دون القلب، في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾ - مع أنَّه في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، نفى الكذب عن رؤية الفؤاد - لبيانِ قوَّة النَّبيِّ ﷺ إذ لم يزغْ بصره من غيرِ اختيارٍ في مثل هذا الموقف العظيم، الَّذي تزيغُ فيه أبصارُ الرِّجال، كيف لا؟ والشَّخصُ عندما يحضرُ عند ملكٍ عظيم يرى من نفسه أنَّه يهابه، ويرتجفُ؛ إظهارًا لعظمته مع أنَّ قلبه قويٌّ[2]، فنفيُ الزَّيغِ عن البصرِ في هكذا موقف هو أعجبُ وأبلغ.

توجيهُ العطف في قوله: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾:

ثباتُ النَّبيِّ ﷺ في مقامِ المشاهدة، وتمامُ أدبه مع ربِّه

قوله تعالى: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ عطفُ جملةٍ مستقلَّةٍ على جملةٍ أخرى، وهي: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾، فكأنَّه تعالى قال عند ظهور النور: ما زاغ بصرُ محمَّد ﷺ، وما طغى محمَّدٌ بسببِ الالتفات، ولو التفتَ؛ لكان طاغيًا، أو عطفُ جملةٍ مقدَّرةٍ على جملةٍ أخرى، والتَّقدير: لم يقطعْ نظره عن المقصود، أو ما مالَ عن الأنوارِ، وما طغى، أي: ما طلبَ شيئًا وراءها[3]، واختلافُ التَّقدير للاختلاف في معنى ما غشيَ السِّدرة، وفي جميع التَّقديرات بيانٌ لنجاحِ النَّبيِّ ﷺ في الاختبارِ ولأدبه ﷺ مع ربِّه.

سرُّ تكرار (ما) النّافية:

تأكيدُ كمالِ الرُّؤية النَّبويَّة، فلا زيادة فيها ولا نقصان

كرَّرَ النَّظمُ الحكيم حرفَ النَّفي (ما) مع المعطوف على المنفيِّ قبله، في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾؛ تأكيدًا لمعنى النَّفي، وللاهتمامِ بنفي كلِّ فعلٍ على حدة، فـ﴿مَا﴾ الأولى تنفي أيَّ ميلٍ أو

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 345.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 246.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 246.

انحراف، والثّانية تنفي أيَّ تجاوزٍ أو إفراطٍ، وفي هذا براءةُ البصر النَّبويِّ مِن كِلا الفعلين بشكلٍ مطلق، فيحصلُ التَّكاملُ في النَّفي، ومِن ثَمَّ كمال الرُّؤية النَّبويَّة، فلا زيادة ولا نقصان.

دلالةُ الماضي ﴿طَغَىٰ﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بصيغة الماضي في قوله: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّقِ انتفاءِ طغيان بصرِ النَّبيِّ ﷺ، أي: تجاوزه ما أُمرَ به قطعًا، فلم يرتفعْ عن الحدِّ الَّذي حُدَّ له[1]، مع أنَّ ذلك العالمَ غريبٌ عن بني آدم، وفيه من العجائب ما يحيرُ النّاظر، بل كانت له العفَّةُ الصّادقة المتوسِّطة بين الشَّرهِ والزَّهادةِ على أتمِّ قوانين العدل، فأثبتَ ما رآه على حقيقته[2].

تحقُّقُ انتفاءِ طُغيانِ بصرِ النَّبيِّ ﷺ في أعظمِ مشهد

بلاغةُ الاستعارة في الآية:

في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ استعارتان مكنيَّتان، الأولى في قوله: ﴿زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾؛ إذ شُبِّه البصرُ بشخصٍ عاقلٍ أو صاحبِ إرادةٍ، يمكنُ أن يميلَ، أو ينحرف، وحُذِفَ المشبَّهُ به، وأُبقي فعل الزَّيغ، وهو من خصائصه، والثّانية في قوله: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾؛ إذ شُبِّه البصرُ بشخصٍ متجاوزٍ لحدِّه أو متعدٍّ، فالطُّغيانُ لا يكونُ للبصر الحقيقيِّ، وحُذِفَ المشبَّه به، وأُبقي فعل الزَّيغ، وتكمن بلاغةُ الاستعارة في تشخيصِ البصر، فالبصرُ يُصوَّرُ، وكأنَّه كائنٌ عاقلٌ مسؤول، يُمكن أن يحيدَ، أو يتجاوز الحدَّ، لكنَّه لم يفعلْ، ممّا يدلُّ على كمالِ الانضباطِ والاتِّزان في الرُّؤية النَّبويَّة، فبصره ﷺ "لم يقصِّرْ عن المرئيِّ، فيقع دونه، ولم يزدْ عليه، فيقع وراءه، بل وافقَ موضعه، ولم يجاوزْ موقعه"[3].

تصويرٌ يدلُّ على كمالِ الانضباط والاتِّـــزان في الرُّؤيةِ النَّبويَّة

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 246.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 28/ 246.
(3) الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن: 2/ 317.

بلاغةُ التَّوكيد باللّام و(قد):

تأكيدُ الرُّؤية النَّبويَّة للآيات الكبرى في مواجهةِ إنكارِ المشركين

في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ زادَ البيانُ القرآنيُّ في تأكيدِ الإسراءِ والمعراج على وجهٍ يَعُمُّ غَيرَه باستعمالِ اللّامِ الموطِّئة للقسم؛ إذ التَّقديرُ: واللهِ لقد رأى النَّبيُّ ﷺ جبريلَ في صورتِه مرَّةً أُخرى[1]، وبحرف التَّحقيق (قد)؛ إذ قد سبق الفعل الماضي ﴿رَأَىٰ﴾؛ لأنَّ المشركين كانوا قد أنكَروا الإسراءَ إنكارًا لم يقَعْ لهم في غَيرِه مِثْلُه[2].

دلالة الماضي ﴿رَأَىٰ﴾:

تحقُّقُ الرُّؤيةِ من النَّبيِّ ﷺ على أكملِ وجه

التَّعبيرُ بصيغة الماضي في قوله: ﴿رَأَىٰ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّق الرُّؤيةِ من النَّبيِّ ﷺ على أكملِ وجه، والمعنى: لقد أبصرَ بسببِ ما أهَّلناهُ له من الرِّسالة إبصارًا ساريًا إلى البواطن غير مقتصرٍ على الظَّواهر من آياتِ ربِّه المحسن إليه[3].

معنى حرف الجر ﴿مِنۡ﴾:

في التَّبعيضِ تعظيمٌ للمرئيِّ من آياتِ الله الكبرى وتفخيمٌ للمستور

﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ للتَّبعيض، أي: لقد رأى بعض آياتِ ربِّه الكبرى، بما يدلُّ على عِظَم ما رآه النَّبيُّ ﷺ فمجرَّد رؤية أيِّ جزءٍ من آياتِ ربِّه تُعدُّ رؤيةً لآياتٍ عظيمة هائلة، ممّا يُضفي على الحدث هيبةً وجلالًا، ويفتحُ بابَ التَّأمُّل في عظمةِ ما خفيَ من الآيات؛ إذ لو كان ما رآه هو بعضُ الآيات، فكيف بما لم يُرَ؟.

سرُّ جمع ﴿ءَايَٰتِ﴾ وتعريفه بالإضافة:

كثرةُ الآيات تدلُّ على عظمةِ قدرة الله

جمعَ البيانُ القرآنيُّ الآيات، ولم يقل: (لقد رأى آية ربِّه الكبرى)؛ للدَّلالة على كثرةِ هذه الآيات الَّتي رآها النَّبيُّ ﷺ ليلةَ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 421.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 54.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 54.

الإسراء والمعراج، والَّتي تدلُّ على عظمةِ قدرة الله سبحانه، وقد ذكرَ المفسِّرون أمثلةً لهذه الآيات، ومنها رؤيته لجبريل عليه السلام في صورته، ورؤيته للأنبياء؛ آدم وعيسى وموسى ويوسف وغيرهم[1].

وإضافةُ الآيات إلى ذاتهِ العليَّة؛ تشريفًا للآياتِ الَّتي رآها النَّبيُّ ﷺ وتعظيمًا لمن رآها، وتفخيمًا لهذا الحدث العظيم.

تكريمُ النَّبيِّ ﷺ وتشريفه، وتعظيمُ شأنِ المعراج

نكتةُ إيثار لفظ الرُّبوبيَّة مضافًا إلى الضَّمير:

آثرَ النَّظمُ الحكيمُ لفظَ الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ دون لفظِ الألوهيَّة؛ لكونه أنسبَ مع مقامِ الإحسان والرِّعاية والعناية الَّذي أكرمَ اللهُ به رسوله في الإسراء والمعراج، فقد أحسنَ إليه في هذه الرِّحلة الكريمة بما لم يصلْ إليه أحدٌ قبله، ولا يصلُ إليه أحدٌ بعده[2]، وأمّا إضافةُ الرُّبوبيَّة إلى الضَّمير العائد إلى النَّبيِّ ﷺ فهي إضافةُ تشريفٍ وتكريمٍ للنَّبيِّ ﷺ وتسليةٍ؛ لِما يلاقيه من قومِه.

مقامُ العناية والإحسان يليق تكريمًا متفرِّدًا بالنَّبيِّ العدنان ﷺ

سرُّ وصف الآيات بالكبرى:

﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ إمّا صفةٌ لـ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ لا مفعولٌ به، ويكون المرئيُّ محذوفًا؛ لأنَّ في الآيات ما لم يره، وفيها ما رآه، وعلى عدِّه مفعولًا به، يكون مقتضاه أنَّه رأى الآياتِ الكبرى كلَّها على الشُّمول، وإنَّ آيات الله لا يحيطُ بها أحد[3]، أو أنَّها صفةٌ لمحذوف تقديره: لقد رأى من آيات ربِّه الآية الكبرى[4].

آياتُ اللهِ لا يحيطُ بها أحد

نكتةُ حذفِ مفعول ﴿رَأَىٰ﴾:

المَرئيُّ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ مَحذوفٌ؛ لتَفخيمِ الأمْرِ وتَعظيمِه، كأنَّه قال: لقد رَأى مِن آياتِ ربِّه

في الحذفِ تفخيمٌ لِما رآه النَّبيُّ ﷺ من آياتِ الله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 54.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 54.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 91.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 247.

الكُبرى أُمورًا عِظامًا لا يُحيطُ بها الوصْفُ، والحذْفُ في مِثلِ هذا أبلَغُ وأهولُ؛ لأنَّ فيه تَفخيمًا لآياتِ اللهِ الكُبرى، وأنَّ فيها ما رآهُ، وفيها ما لمْ يَرَهُ[1]، وهذا باعتبار ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ نعتًا لـ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ لا مفعولًا به للفعل ﴿رَأَىٰ﴾.

دلالةُ صيغة التَّفضيل في ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾:

﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾ تأنيثُ (الأكبر)، وهي صيغةُ تفضيل محلّاة بـ(الـ) هي مظنَّةُ التَّخصيص، فكأنَّه تعالى يقول: (رأى من آيات ربِّه آياتٍ هنَّ أكبر الآيات)[2]؛ إذ التَّفضيلُ مظنَّة العهد، فـ(الـ) في هذا السّياق: عهديَّة، والكِبَرُ: مُستعارٌ لقوَّة الماهيَّة، أي: آياتنا القويَّة الدَّلالة على قدرتنا[3].

ما رآهُ النَّبيُّ أقوى الآيات في الدَّلالة على قدرةِ الله

بلاغةُ التَّذييل:

قولُه تعالَى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ تَذْييلٌ لِما سبق، أي: رأى آياتٍ غيْرَ سِدرةِ المُنْتهَى، وجنَّةِ المأْوَى، وما غشيَ السِّدرةَ مِن البَهجةِ والجَلالِ، رأى مِن آياتِ اللهِ الكُبْرى[4]، فجاءَ التَّذييلُ لتأكيدِ يقينيَّةِ ما رآهُ النَّبيُّ ﷺ وتعظيمِ ما رآه بأنَّه من آياتِ الله الكبرى الدّالَّة على أنَّه الرَّبُّ المنعمُ المتفضِّلُ المستحقُّ للعبادة، بالإضافة إلى أنَّ هذا التَّذييلَ كان بمنزلةِ خاتمةٍ مهيبةٍ تليقُ بمشهدِ الإسراء والمعراج، ختمَ اللهُ بها.

الخاتمةُ المهيبةُ تليقُ بمشهدِ الإسراءِ والمعراج

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المأوى والمسكن والمنزل:

المأوى هو مكانُ اللُّجوءِ والحماية والعودة؛ إذ أصلهُ يدلُّ على

جنَّةُ المأوى هي مكانُ اللُّجوءِ والحمايةِ والمأمنُ لأرواحِ المؤمنين

(1) حاشية ابن المنير على الكشاف: 4/ 421، والطيبي، فتوح الغيب: 15/ 91، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 350.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 246.

(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 16/ 209.

(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 102.

التَّجمُّعِ والإشفاقِ، وأويتُ إليه: رحمتُه ورقَقْتُ له، والمأوى هو الملجأُ والمأمنُ ممّا يُخشى منه[1]، ومأوى الرَّجلِ: منزله الَّذي يميلُ إليه، ويقيمُ فيه[2]، في حين أنَّ المسكنَ هو مكانُ الاستقرارِ والاستيطانِ والإقامةِ والرّاحةِ من التَّعب، فأصله من السُّكونِ وعدمِ الاضطراب والحركة[3]، فإذا كان المكانُ يُراعى فيه معنى الهدوء والسُّكون عن الحركة، واتِّخاذه للجلوسِ والرّاحة من التَّعب سُمّي مسكنًا، وأمّا المنزلُ؛ فهو مكانُ النُّزول والإقامةِ والحلولِ؛ إذ أصله من الهبوطِ والوقوعِ والحلولِ في المكان[4]، فكلُّ مكانٍ يُنزَلُ فيه يُسمّى منزلًا، وقد ناسبَ مجيءُ لفظِ المأوى مع الجنَّة في قوله: ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾؛ للدَّلالة على أنَّها الجنَّة الَّتي تأوي إليها أرواحُ المؤمنين، وهي مكانُ اللُّجوءِ والحماية والمأمن لهم.

الزَّيغ والميل والطُّغيان:

نـفـيُ أيِّ ذمٍّ يمكنُ أن يُنسبَ للنَّبيِّ ﷺ من زيغٍ أو طغيان

الزَّيغُ أخصُّ من الميل، فالزَّيغُ اسمٌ لميل مكروه، فلا يكون الزَّيغ إلّا مذمومًا؛ لأنَّ الزَّيغ مطلقًا لا يكون إلّا الميل عن الحقِّ إلى الباطل، والميل عن الاستقامة والصَّواب[5]، ويُستَعملُ في العدول عن القَصْدِ، وفي الشَّكِّ والجَوْر عن الحقِّ، ويُستَعملُ أيضًا في الغلطِ في الرُّؤية[6]، أمّا الميلُ؛ فعامٌّ في المحبوبِ والمكروه[7]، فالميلُ: هو العدولُ من جهةِ الوسط إلى أحدِ الجانبين، أي: انحِرافٌ في الشَّيءِ إلى جانبٍ مِنهُ[8]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أوى).
(2) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 86.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وابن سِيده، المحكم، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سكن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نزل).
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 213، والراغب، المفردات: (زيغ)، والكفوي، الكليات، ص: 490.
(6) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 154، والزبيدي، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (زوغ).
(7) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 213.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (ميل).

فيكون معناه بحسب السّياق الوارد فيه، وأمّا الطُّغيان؛ فهو تجاوزُ الحدِّ في المكروهِ مع غلبةٍ وقهرٍ، والغلوُّ في ذلك، ويشملُ الإفراطَ في المعصيةِ والكبرِ والكفرِ، فهو بذلك أشدُّ من البغي، وأشدُّ من العتوِّ[1]، وقد استعمل البيان القرآنيُّ لفظي: (﴿زَاغَ﴾ - ﴿طَغَىٰ﴾)؛ لأنَّ اللَّفظين فيهما ذمٌّ، وسياقُ الآيات ينفي أيَّ ذمٍّ يمكنُ أن يُنسبَ للنَّبيِّ ﷺ، فينفي عن النَّبيِّ ﷺ أيَّ غلطٍ في رؤيته، ويثبتُ ما رآه إثباتًا مستيقنًا صحيحًا من غير أن يزيغَ بصره، وينفي كذلك أيَّ تجاوزٍ لِما أُمِرَ برؤيته، وما لم يؤذنْ له فيه.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 230.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"